العدل مفتاح السعادة

للأستاذ عبد المنصف محمود عبد الفتاح
واعظ مركز شبين القناطر

(٢)

أنواع العدل ثلاثة : عدل الإنسان مع ربه وخالقه ورازقه ، وعدله مع نفسه ، وعدله مع غيره وذلك الغير إما أن يكون فردا وإما أن يكون جماعة .

١ ـ فأما عدل الانسان مع ربه : فهو أن يفعل جميع ما أمره به ويترك كل مانهاه عنه ، وأن يكثر من ذكره ، وأن يراقبه فى سره وعلنه ، وأن يكون الله ورسوله : أحب إليه من أخته وأخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه وماله وعقاره قال الله تعالى : « قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال إقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين » وهذه المحبة هى أساس الدين وسر التوحيد الخالص فمن لم يذق طعمها لم يذق حلاوة الإيمان والطاعة روى البخارى عن أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود فى الكفر كما يكره أن يقذف فى النار . وعن الحسن رضى الله عنه قال أحب عباد الله إلى الله أكثرهم له ذكرا وأتقاهم قلبا » . فالمحب لا يغفل عن ذكر الله وبورعه وتقواه ، تطيب له الحياة قال ذو النون ما طابت الدنيا إلا بذكره ، ولا طابت الآخرة إلا بعفوه ولا طابت الجنة إلا برؤيته

بذكر الله ترتاح القلوب
ودنيانا بذكراه تطيب
إذا ذكر المحبوب عند حبيبه
ترنح نشوان وحن طروب

وكانت السيدة رابعة العدوية رضى الله عنها تقوم الليل إلا قليلا ثم تقول : إن شكر قيام هذه الليلة أن أصوم غدا . . وقد صامت حتى تغير لونها ونحل جسمها ، وبكت من خشية ربها حتى ضعف بصرها وكثيرا ما كانت تنهمر دموعها على خديها وتقول : ياليتنى لم أكن شيئا مذكورا ، وتضيق ذرعا بغير حبيبها وهو الله عز وجل إذ هى به فى شغل وتناجيه بقولها :

أحبك حبين : حب الهوى
وحبا لأنك أهل لذاكا
فأما الذى هو حب الهوى
فشغلى بذكرك عمن سواكا
وأما الذى أنت أهل له
فكشفك لى الحجب حتى أراكا
فلا الحمد فى ذا ولا ذاك لى
ولكن لك الحمد فى ذا وذاكا

ولعلها تريد بحب الهوى : حب الله تعالى ، لإكرامه لها ، وإحسانه إليها ، وإنعامه عليها بحظوظ الدنيا ومتع الفانية . . وبحبه لما هو أهل للحب لجماله وجلاله الذى انكشف لها عن طريق جدها واجتهادها فى الطاعة والعباده . حتى وصلت إلى درجة عظيمة من الاشراق النفسى والصفاء الروحى ، وهو أعلى الحبين وأقواهما . سألها ذات يوم سفيان الثورى فقال لها : « ماحقيقة إيمانك قالت : ما عبدته خوفا من ناره ولا حبا فى جنته ، فأكون كالأجير السوء بل عبدته حباله وشوقا إليه ، كلهم يعبدوك من خوف نار

ويرون النجاة حظا جزيلا
أو لأن يسكنوا الجنان فيحظوا
بقصور ويشربوا سلسبيلا
ليس لى فى الجنان والنار حظ
أنا لا أبتغى سواك بديلا

وكان أبو حازم المدنى يقول : إنى لا أستحى من ربى أن أعبده لأجل الثواب ، فأكون كالأجير السوء ، ان لم يعمل ، ولكن أعبده محبة له وقياما بحق ربوبيته .

احبك لا أرجو بذلك جنة
ولا أتقى نارا وأنت مرادى

إذا كنت لى مولى فأية جنة
وأية نار تتقى وتراد

أوحى الله عز وجل إلى بعض أنبياء بنى اسرائيل : « يعبدنى عبادى طمعا فى جنتى وخافة من نارى ! ألم أكن أستحق العبادة لو لم أخلق جنة ولا نارا ؟ » .

وأما حب رسول الله صلى الله علية وسلم فلما رواه الشيخان من حديث أنس : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين » ، وعن على كرم الله وجهه أنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا ومن الماء البارد على الظمأ ، وذكر ابن هشام فى سيرته : أن النبى صلى الله عليه وسلم مر بامرأة من بنى دينار وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله بأحد فلما نعوا لها قالت : فما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالوا : خيرا يا أم فلان هو بحمد الله كما تحبين . قالت أرونيه حتى أنظر إليه ! فأشير لها إليه حتى إذا رأته قالت : كل مصيبة بعدك جلل (أى يسيرة) وروى الحافظ

بإسناده إلى شريح بن عبيد قال : قال عمر بن الخطاب : خرجت قبل أن أسلم أتعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدته قد سبقنى الى المسجد . فقمت خلفه فاستفتح سورة الحاقة . . فجعلت أعجب من تأليف القرآن . فقلت فى نفسى هذا والله شاعر كما قالت قريش فقرأ : « إنه لقول رسول كريم . وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون » قال : قلت كاهن علم ما فى نفسى . فقرأ « ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين . ولو تقول علينا بعض الأقاويل . لأخذنا منه باليمين . ثم لقطنا منه الوتين . فما منكم من أحد عنه حاجزين . وإنه لتذكرة للمتقين وإنا لنعلم أن منكم مكذبين ، وإنه لحسرة على الكافرين . وإنه لحق اليقين فسبح باسم ربك العظيم » ، قال عمر : فوقع الاسلام فى نفسى كل موقع . فكما وقع حب هذا النبى منذ هذه اللحظة فى قلبى .

وأمارة الصدق فى هذه المحبة : محبة الكتاب الذى أنزل عليه ، ومحبة سنته ، ومحبة آل بيته وصحابته

وتحرى المتابعة الكاملة له فى آدابه وأخلاقه وأعماله حسبما قال الله تعالى : « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً » .

٢ — وأما عدله مع نفسه : فهو ألا يظلمها فيعرضها لغضب الله وأليم عذابه بسبب عصيانه ، أو يعرضها لذم الخلق وبغضهم بسبب الاتصاف بمساوىء الصفات وقبيح العادات ، أو يعرضها لآلام الأمراض بسبب المخالفة لقانون الصحة أو بسبب تعاطى المخدرات أو تناول المسكرات وهو يؤمن بقول الله عز وجل : « ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما » . وقوله تعالى : « ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها » ، فالطاعة تزكى النفس وتطهرها فترتفع بها ، والمعاصى وارتكاب الدنايا تدنس النفس ، فتخمدها وتخفى مكانتها ، وتحط من قدرها وقيمتها ، وبذلك تصير كالشىء الذى يدس فى التراب . وقول النبى صلى الله عليه وسلم : « الناس غاديان فبائع نفسه فموبقها ، ومقتد نفسه فمعتقها » رواه الطبرانى والحديث يدل : على أن كل إنسان على ظهر البسيطة إما أن يكون ساعيا فى هلاك نفسه ، وإما أن يكون ساعيا فى فكاكها . فمن سعى فى طاعة الله ابتغاء مرضاته ، فقد باع نفسه لله ، واستحق دخول جناته ، ومن سعى فى معصية الله ، واتبع هواه بغير هدى من الله ، فقد باع نفسه للشيطان واستوجب غضب الله ونقمته . .

وفى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل عليه : « وأنذر عشيرتك الأقربين » ، يامعشر قريش اشتروا أنفسكم من الله لا أغنى عنكم من الله شيئا ، يا بنى عبد المطلب اشتروا أنفسكم من الله لا أغنى عنكم من الله شيئا ، وفى رواية للبخارى : يا بنى عبد مناف اشتروا أنفسكم من الله ، يا بنى عبد المطلب اشتروا أنفسكم من الله لا أغنى عنكم من الله شيئا ، يا عمة رسول الله يا فاطمة

بنت محمد اشتريا أنفسكما من الله لا أملك لكما من الله شيئا». وصدق الله العظيم حيث يقول : « ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله والله رءوف بالعباد » ويقول عز شأنه : إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم .

وعن محمد بن الحنفية رضى الله عنه أنه قال : « إن الله عز وجل جعل الجنة ثمنا لأنفسكم فلا تبيعوها بغيرها».

وقد قيل :

أثامن بالنفس النفيسة ربها
فليس لها فى الخلق كلهم ثمن
بها أشترى الجنات إن أنا بعتها
بشىء سواها إن ذلكم غبن
إذا ذهبت نفسى بدنيا أصبتها
فقد ذهبت منى وقد ذهب الثمن

ألا - وأنا نعدله مع غيره : فهو ألا يضامه فى ماله وعرضه ولا فى شىء مما يتعلق به . وألا يسخر منه أو يعيبه بقول أو إشارة . وألا ينظر إليه بعين المهانة إزدراء لشأنه أو انتقاصا من قدره مهما كان جاهلا أو فقيرا أو محتاجا أورث الهيئة أو ذا عاهة من العاهات ، فإن المسخور منه قد يكون عندالله خيرا من الساخر المستهين ، والناس لا يطلعون على بواطن الأمور ولا علم لهم بالخفيات ، وليس شىء يقام له عند الله وزن إلا التقوى وإخلاص السرائر وطهارة الضمائر والله وحده هو الذى يعلم ذلك كله قال الله تعالى : « يأيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون ».

تقاول أبو ذر الغفارى وعبد زنجى (أى تفاوض معه على أمر يخصه) فى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحتد عليه وقال له : يا ابن السوداء فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال « إنكم لو تتبعتم

طف الصاع لم تملئوه . . ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل إلا بالتقوى أو بعمل صالح . فوضع أبو ذر خده على الأرض وقال للأسود ثم فضع رجلك على خدي ! ! يريد بذلك التكفير عن ذنبه لجرحه شعور أخيه المسلم .

وروى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال ﷺ : « إياكم والظن فإن الظن

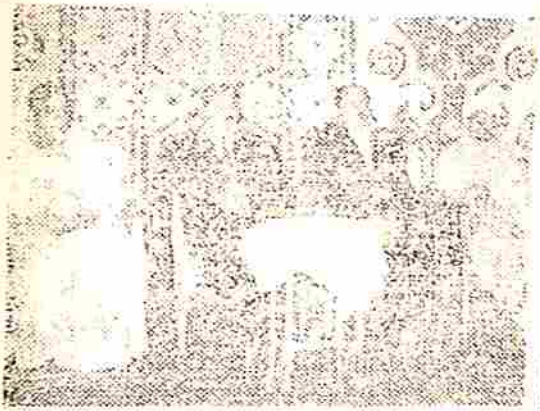

سيادة الأستاذ حسين الشافعي وزير الشئون والعمل المركزي ونائب السيد الرئيس في الحفل وبجواره سماحة السيد محمد علوان شيخ المشايخ

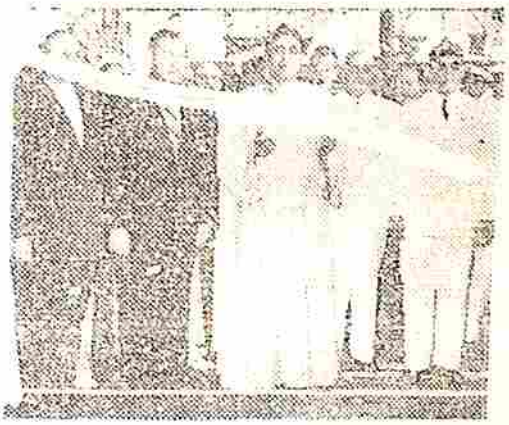

السيد نائب الرئيس . . والسادة مشايخ الطرق عند توديع سيادته عقب انتهاء الحفل

أكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا كما أمركم الله تعالى، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره ، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام : ماله ودمه وعرضه .. إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا صوركم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم

واعمالكم . التقوى ههنا . التقوى ههنا ويشير إلى صدره ،

بعد النصف تحول [illegible] القتال

واعتقد [illegible] التناحر

مولد الهدى والنور

البقية من ص ٣٢

بجنبات داخليا ، عبادة وتقوى واقتداء برسول الله .

وهكذا كل عمل يضيف للمؤمن قوة ، ويطوق على المسلم عزة ، فهو عمل صالح يرضاه الله ويحبه ويرضاه . ذلك هدى رسول الله ، فى يوم ذكراه .

أيها السادة

إننا اليوم نرجع البصر كرتين ، ونستعرض التاريخ ، ونستعيد الذكرى ، ذكرى أخلد يوم فى الحياة ، وأعظم مولد شهده الوجود

ذكرى يوم أشرقت فيه الأرض بنور ربها ، وسبح الملأ الأعلى ، وأزهى الوجود ، وترنم الكون ، وفتحت أبواب الخير

هناك فى أم القرى ، بجوار البيت العتيق المبارك ، فى ساحة أحفاد إبراهيم ، إسماعيل ، فى بيت عبد الله ابن عبد المطلب الهاشمى القرشى .

فى عام من الأعوام ، فى ليلة مضت من شهر ربيع الأول فى عام الفيل .

وهب الله للإنسانية ، رحمته المهداه ، وخيرته من الحياة .

أيها السادة

فلنقف إجلالا للذكرى المباركة ، فى مثل هذا اليوم ، ولد محمد رسول الله ، خاتم النبيين ، وسيد المرسلين ، صلوات الله وسلامه عليه . . ، إن الله وملائكته يصلون آمنوا على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ،

جاء رسول الله إلى الدنيا ، ليكون الصراط المستقيم ، الذى يسير على نوره من أنعم الله عليهم من النبيين الصديقين ، والشهداء والصالحين ،

جاء ليكون حبل الله ، الذى يربط الانسانيه بالله ، ويصل القلب البشرى بواهب الحياة .

جاء ليكون المعراج الذى تصعد عليه الإنسانية الفاضلة إلى السماء

الكاملة ، ليكون الميزان القسط الذى يعتدل به كل شىء ويستقيم

جاء ليمحص الخبيث من الطيب ، وليبين الله به من اتبع هدى المرسلين ، ممن استهوته الشياطين

جاء ليقدم للناس أكمل الرسالات السماوية قرآنا عربيا يهدى إلى الرشد .

وليقدم للناس أكمل النماذج البشرية فى صورته الانسانية . لتتمثل فى شمائله كلمات الله ، فكان خلقه القرآن وكانت أعماله القرآن ، ثم فتح الله أبواب رحمته كافة . بجعله القدوة الصالحة : فمن تأسى برسول الله ، ومن اقتدى به ، كانت شمائله قرآنا ، وكانت أعماله نورا ، وكانت حياته ، حياة ربانية : وذلك هدف الرسالة المحمدية وجوهرها ، أن تصنع على عين الله ، بشرا ، خلقه قرانا ، وقلبه ربانيا ، يحب الله ويحبه الله ، ويرضى عنه الله . وذلك فضل الله على هذه الأمة ، التى جعلها شهداء على الناس وجعل الرسول عليهم شهيدا .

سيدى يا رسول الله :

لقد سأل المؤمنون ربهم أن يبعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ، فاستجاب الله دعاءهم ، وبعثك رسولا منهم ، تتلو عليهم آياته ، وتعلمهم الكتاب والحكمة ، وتزكيهم ، وتعلمهم ما لم يكونوا يعلمون .

أن يؤمنوا بالكتاب ، وأن يروك صلوات الله عليك صورة لهذا الكتاب فاعتصموا بهديك ، ليكونوا صورة منك ، وأنت المثل الكامل .

وتسمى المقبلون بأسمائهم على الله . المهتدون بهديك فى التاريخ باسم الصوفية .

أخذوا بالعزائم فى العبادات ، وبالكمالات فى الأخلاقيات ، وبالهدى النبوى فى الحركات والسكنات ، وصبروا وصابروا ، وجاهدوا وكافحوا ، فهداهم الله سبله ، وأفاض عليهم حبه ، وكانت ألسنتهم أبدا رطبة بذكر الله ، وحب الصالحين الذين اعتصموا بهديك .

وأقاموا لجهادهم ولعبادتهم طرقا ، هى جامعات تخصصت فى الدعوة إلى الله وإليك ، وها هو حفلهم اليوم شهادة لهم ، على تخصصهم فى الحب ، وفى الذكر ... والاتباع .

وأنا هذا التخصص ، خلقانى ذكرهم وهو تسبيح وحمد لله ، وصلاة وسلام عليك يا رسول الله .

لم تجمعهم دنيا ، ولم تدفعهم شهوة ، ولم تربطهم قرابة ... لا